أدونيس

مختارات شعرية

ليس نجما

ليس نجماً ليس إيحاء نبي

ليس وجها خاشعا للقمر ـ

هو ذا يأتي كرمحٍ وثنيٍّ

غازياً أرض الحروفْ

نازفا ـ يرفع الشمس نزيفهْ،

هو ذا يلبس عُرْيَ الحَجَرِ

ويصلّي للكهوفْ،

هو ذا يحتضنُ الأرض الخفيفة.

❖❖❖

صوت

مهيار وجهٌ خانه عاشقوهْ

مهيار أجراسٌ بلا رنينْ

مهيارٌ مكتوبٌ على الوجوه

أغنيةً تزورنا خلسةً

في طرُفٍ بيضاء منفيّةْ،

مهيار ناقوسٌ من التائهينْ

في هذه الأرض الجليلةْ.

❖ ❖ ❖

الأيام

تعبت عيناه من الأيامْ

تعبت عيناه بلا أيام

هل يثقب جُدران الأيامْ

يبحث عن يوم آخرْ. . .

أَهنُا أهنُالك يومٌ آخَرْ؟

❖ ❖ ❖

وجه

وجْه مهيار نارْ
تحرقُ أرض النجوم الأليفة،
هو ذا يتخطى تخوم الخليقه
رافعاً بَيْرق الأفولْ
هادماً كلّ دار،
هو ذا يرفُض الإقامَةْ
تاركا يأسه علامة
فوق وجه الفصولْ.

❖ ❖ ❖

ينام في يديه

يمدّ راحتيهِ
للوطن الميتِ للشوارع الخرساءْ،
وحينما يلتصقُ الموتُ بناظريهْ
يَلْبسُ جلْدَ الأرض والأشياءْ
ينامُ في يديه.

❖ ❖ ❖

حجر

أعبد هذا الحجَر الوادعا
رأيتُ وجهي في تقاطيعه
رأيتُ فيه شعري الضائعا.

❖ ❖ ❖

الأيام السبعة

أيتها الأمّ التي تسخرُ

من حبي ومَقتي ،

أنتِ في سبعة أيامٍ خُلِقْتِ

فخلقتِ الموجَ والأفْقَ

وريشَ الأُغنيةْ،

وأنا أيامي السبعةُ جرحٌ وغرابٌ

فلماذا الأحجيَةْ

وأنا مثلُكِ ريحٌ وترابٌ؟

❖ ❖ ❖

أسلمتُ أيامي

أسلمتُ أيام لهاويةٍ
تعلو وتهبط تحت مركبتي
وحفرتُ في عيني مقبرتي،
أنا سيد الأشباح أمنحُها
جنْسي وأمسِ منحتُها لغتي
وبكيتُ للتاريخ منهزماً
متعثراً يكبو على شفتي

وبكيت للرعب الذي احترقتْ

أشجاره الخضراء في رئتي،

أنا سيد الأشباح أضربُها

وأسوقها بدمي وحنجرتي

أَلشمّس قبُرَّةٌ رميتٌ لها

أُنشوطتي والريح قبعتي.

❖ ❖ ❖

المصباح

يحمل في رابعة النهار

مصباحه يبحث عن إنسانْ

لا رمل في عينيه،

يسيرُ في خفٍّ من الغبار

ينام في برميل

ملتحفا كفيهْ

وأنتَ، ماذا؟

ليس لي عينانْ

بيني وبين إخوتي قابيلْ

بيني وبين الآخر الطوفانْ.

حين ينام الليل والنهارْ

أُغافلُ السَّفاحْ

أمشي ويمشي خلفيَ الغبارْ،

لكنني أمشي بلا مصباحْ.

اليوم لي لغتي

هدمتُ مملكتي

هدمت عرشي وساحاتي وأروْقتي

ورحتُ أبحثُ محمولا على رئتي

أعلّم البحر أمطاري وأمنحهُ

ناري ومجمرتي

وأكتب الزّمنَ

الآتي على شفتي،

❖ ❖ ❖

واليوم لي لغتي

ولي تخومي ولي أرضي ولي سِمَتي
ولي شعوبي تغذّيني بحيرتِها
وتَستضيء بأنقاضي وأجنحتي.

❖❖❖

مزمور

أول النهار أنا وآخر من يأتي - أضع وجهي
على فوهة البرق وأقول للحلم أن يكون خبزي، أغسل
فروة الأرض، أرفع للفراشة بيرقا وأكتب عليه
أسمائي.
شجرةٌ تغيّر اسمها وتأتي إليّ ، حجرٌ يغتسلُ
بصوتي، سهلٌ يكتسي بأوراقي - هذه جيوشي
وسلاحيَ العشب.
مزدوجٌ أنا مثلث، أنقش وجهي على الريح
والحجر، أنقش وجهي على الماء، أسكن في ثنيّة
الأفق، أسكن الأفق، وعلى جبيني قناعٌ من الموج
والبحر توأمي وشبيهي
أتجه نحو البعيد والبعيد يبقى. هكذا الأصل

ولكنني أضيء. إنني بعيد والبعيد وطني.
أترك الوطن المليء بالسواد المليء كالبيضة،
حيث لا مكان للشمس حيث لا مكان حتى للريح.
أخلق وطنا صديقا كالدمع.
الذين يلغمون قشرة العالم، المليئون بالجمر،
المليئون كالجمر، الذين يتاخمون الأفق الذين يغتصبونه
ويضربونه حتى يدمى، الذين يتفيأون ظل الفراشات ـ
هؤلاء سميتهم بأسمائي. أنا الراكض والآلهة
سياج حولي أخطفها وأغزوها وحين أجسها
ألبس المآتم قُفّازاً، أنا الساكن في أصداف الحلم، المعلن
إنسان الداخل (انظر وراءك يا أورفيوس،
تعلّم كيف تسير في العالم).
إنني اللّغم والطّعم، أقنع الأرض بحضوري
وأفتّت العالم كي أمنحه الوجود، ضاربا بعصاي الصخر
حيث ينبجس الرفض ويغسل جسد البسيطة، معلناً
طوفان الرفض معلنا سفر تكوينه

أحاور الكهوف، أصيّر الجبال كلمات وأموْسق
الحُفَر، أراقص الأثير وأحمّل الحجر أشواقي إلى
الأرض، أكتب رقيةً لأيامي وأكسر عدّاد الوقت،
أغرس مسافاتي بالأشلاء وأترك للأبعاد أن تقودني
تتخاطفني أبعاد الأرض وأكشف لها سريرتي:
((أشحذ الساعة البطيئة يا أبعاد الأرض، أهمز
العقارب وأنخسها، أقتلع المدينة وأعلّقها، أتيح للبحر
أن يتنهد وأن يرقص،
أعلّم السير أن يقهر المسافة يا أبعاد الأرض)).

الصاعقة

أيتها الصاعقة الخضراءُ
يا زوجتي في الشمس والجنونْ،
أَلصخرة انهارت على الجفون
ففيّري خريطة الأشياءْ
جئتك من أرض بلا سماء
ممتلئا بالله والهاويةْ
مجنّحاً بالريح والنسور،
أقتحمُ الرملَ على البذورْ
وأنحني للغيمة الآتيةْ،
ففيّري خريطة الأشياء
يا صورتي في الشمس والجنون
أيتها الصاعقة الخضراء.

❖❖❖

العصر الذهبي

((جُرّه يا شرطي. . . . .))

((سيدي أعرف أن المقصلة بانتظاري

غير أني شاعرٌ أعبد ناري

وأحبّ الجلجلة)).

((جُرّه يا شرُطيْ

قل له أن حذاء الشرُّطيْ

هو من وجهك أجملْ)).

آه يا عصرَ الحذاء الذهبيّ

أنتَ أغلى أنت أجملْ

مرثية أبي نواس

نَائهٌ والنهار حولك دهرٌ من الدِّمَنْ

شاعرٌ كيف يَشْرئبُّ

على وجهكَ الزمنْ

عارفٌ أنني وراءك في موكب الحَجرْ

خلف تاريخنا الموتْ

أنا والشعر والمطرْ

ريشتي ناهدٌ الجواري وأوراقي الحياةْ.

خلِّنا يا أبا نَواس

أللَيالي تلفّنا بالعباءات والدِّمنْ

واحبّاؤنا طغاةٌ مُراؤون كالسماءْ

خَلّنا للعذاب الجميل وللريح والشّرَرْ

تقتلُ البعث والرجاء

ونغني ونستجير ونحيا مع الحَجرْ

نحن والشعر والمطرْ،

خلِّنا يا أبا نواس

❖❖❖

مرثيّة

أيها الميتُ فوق الخشبَةْ

يا صديقي

رَسمَتْ وجهكَ أزهارُ الطريقِ

ومَشَتْ خلف خطاكَ العتبةْ

❖❖❖

دمشق

دمشقْ

قافلةُ النجوم في سجّادةٍ خضراءْ

ثديان من جمرٍ وبرتقالْ

❖❖❖

دمشق

أَلجسد العاشق في سريره

كالقوس،

والهلالْ

يَفتحُ باسم الماء

قارورة الأيام، كلّ يوم

يدور في مدارك الليليْ

يسقط في بركانك الشهيّ

ذبيحةً. .

والشجر النائم حول غرفتي

ووجهي تُفاحةٌ

وحبي

وسادةٌ، جزيرة. . . . . .

لو أنها تجيءْ

لو أنها تجيءْ

دمشق

يا ثمرَ الليل ويا سريرَهْ

❖❖❖

مرآة الشاهد

وحينما استقرت الرماحُ في حشاشةِ الحسينْ

وازَّيَنَتْ بجسَدِ الحسينْ

وداسَتِ الخيولُ كلَّ نقطةٍ

في جسد الحسين

واستُلبتْ وقُسِّمت ملابسُ الحسينْ

رأيتُ كلّ حجرٍ يحنو على الحسينْ

رأيتُ كل زهرةٍ تنامُ عند كتفِ الحسينْ

رأيتُ كلَّ نهرٍ يسير في جنازة الحسينْ

❖❖❖

مرآة لجثة الخريف

هل رأيتَ امرأةْ

حَملت جثّة الخريف؟

هل رأيتَ امرأةْ

مزَجت وجهَها بالرّصيف؟

نَسَجتْ من خيوطِ المطرْ

ثوبَها

والبَشرْ

في رماد الرّصيفْ

جمرةٌ مُطفأةْ.

❖❖❖

حوار

((لا تَقُل كان حبي

خاتماً أو سوارْ

إن حبي حصارْ

إنه الجامحونْ

يُحرون إلى موتهم، يَبحثونْ

لا تقلْ كان حبي

قمراً

إنه شرار)).

❖❖❖

المئذنة

بكتِ المئذنة

حين جاء الغريبُ - اشتراها

وبنى فوقها مدخنة.

❖ ❖ ❖

زهرة الكيمياء

ينبغي أن أسافرَ في جنَّةِ الرّمادْ
بين أشجارها الخَفيّةْ
في الرّماد الأساطيرُ والماسُ والجُزَّةُ الذَهبيّةْ.
ينبغي أن أسافرَ في الجوع، في الوردِ، نحو الحصادْ
ينبغي أن أسافرَ، أن أستريحْ
تحت قوسِ الشّفاهِ اليتيمَةْ،
في الشّفاهِ اليتيمَةِ في ظِلّها الجَريحْ
زَهرةُ الكيمياءِ القديمَةْ

❖❖❖

شجرة النهار والليل

قبل أن يأتيَ النهارٌ، أجيءُ
وتجيءُ الأشجارُ راكضةً خلفي، وتمْشي في ظلِّيَ الأكمامُ
ثم تبني في وجهي الأوهامُ
جُزُراً وقلاعاً من الصمّتِ يجهل أبوابها الكَلامُ
ويُضيءُ الليلُ الصّديقُ، وتنسى
نفسَها في فراشيَ الأيامُ
ثمَّ، إذ تسقطُ الينابيعُ في صدري،
وتُرْخي أزرارَها وتَنامُ
أُوقِظُ الماءَ والمرايا، وأجلو
مثلَها، صَفْحةَ الرؤى، وأنامُ

❖❖❖

غابة السحر

لِيكنْ،

جَاءتِ العصافيرٌ وانضَمَّ لفيفٌ الأحجار للأحجارِ

ليكنْ،

أُوقظُ الشّوارعَ واللّيلَ

ونمضي في موكبِ الأشجارِ

الغصونُ الحقائبُ الخُضْرٌ والحلْمٌ وسادٌ

في عطلة الأسْفارِ

حيث يبقى الضحى عربيا ويبقى

وَجهُهُ خاتماً على أسراري.

ليكُنْ،

دَلّني شعُاعٌ وناداني صَوْتٌ

من آخر الأسوارِ. . . . . .

❖❖❖

أُغنيات

(٥)

سكَنَتْ وجهها

سكَنَتْ في نخيلٍ من الصّمتِ بين رؤاها وأجفانها. .

بيتُها شارِدٌ

في قطيع الرّيَاحِ، وأيّامُها

سَعَفٌ يابِسٌ،

ورمالٌ.

من يَقُولُ لِزِينْبَ: عيناي ماءٌ

ووجهيَ بيتٌ، لأحزانِها؟

(٧)

ألمحُ الآنَ أحزانَها

كالفراشاتِ، تضربُ قِنديلَها

حُرّةً ذاهلَةْ

وأراها تُمَزّق مِنديلَها. . . . . .

ألمحُ الآنَ أمّي:

وَجهها حُفْرةٌ، ويدَاها

وردةٌ ذابِلَةْ.

أول الشعر

أجمل ما تكونث أن تُخلخلَ المدى
والآخرون ـ بعضهم يظنّك النّداءَ
بعضهم يظنّك الصّدى
أجمل ما تكونُ أن تكون حجّةً
للنور والظلام
يكون فيك آخرُ الكلام أوّلَ الكلام
والآخرون ـ بعضهم يرى إليك زبداً
وبعضهم يرى إليك خالقاً
أجمل ما تكون أن تكون هدفاً ـ
مفترقاً
للصمتِ والكلام

❖ ❖ ❖

أول التهجية

نقدرُ، الآنَ، أن نتساءلَ كيف التقينا

نقدرُ، الآنَ، أن نَتَهجّى طريقَ الرّجوعْ

ونقولَ: الشواطئ مهجورةٌ،

والقلوعْ

خَبَرٌ عن حُطامٍ

نقدر، الآن، أن ننحني، ونقولَ: انْتَهينَا

❖ ❖ ❖

قيس

كان قيسٌ يقول: اكتسبتُ بليلى
وكسرتُ البَشَرْ
ورأيتُ إليه يُغطي
وجنتيه بنار
ويسامر غاباتها ويُطيل السَمَرْ
ورأيتُ إليه يلمُّ القمَرْ
حُفنةً حفنةً من ضِفافِ السَهَرْ

❖ ❖ ❖

أول الكلام

ذلك الطفل الذي كنتُ، أتاني
وهاً غريباً
لم يقل شيئاً. مشينا
وكلانا يرمقُ الآخر في صمتٍ خُطانا
نَهَرٌ يجري غريباً.
جمعتْنا، باسْمِ هذا الورق الضّارب في الرّيح، الأصولُ
وافترقْنا
غابةً تكتبها الأرضُ وترْويها الفصولُ.
أيها الطفل الذي كنتُ، تَقَدَّمْ
ما الذي يجمعنا، الآنَ، وماذا سنقولُ؟

❖❖❖

مختارات

لو أنّ البحر يشيخ

لاختار بيروت ذاكرة له

كلّ لحظة

يبرهن الرماد أنه قصر المستقبل.

يسافر،

يخرج من خطواته

ويدخل في أحلامه.

كلما هذّبته الحكمة

فضحته التجربة.

يرسم خرائط لكنها تمزّقه.

أغلق بابه

لا لكي يقيد أفراحه.

بل لكي يحرّر أحزانه،

رماده يفاجئ النار

وناره تفاجئ الوقت.

ينكر الأشياء التي تستسلم له

تنكر الأشياء التي يستسلم لها

الماضي بحيرة

لسابح واحد: الذكرى

لا وقت للبحر لكي يتحدث مع الرمل:

مأخوذ دائماً بتأليف الموج.

اليأس عادة، والأمل ابتكار.

للفرح أجنحة وليس جسد،

للحزن جسد وليس له أجنحة.

الحلم هو البريء الوحيد

الذي لا يقدر أن يحيا إلاّ هارباً.

الفكر دائماً يعود

الشعر دائماً يسافر.

السرَ أجمل البيوت

لكنه لا يصلح للسكنى.

يصدأ اللسان من كثرة الكلام،

تصدأ العين من قلة الحلم.

أنّى سافرت، كيفما اتَجهت:

أعماقك أبعد الأمكنة.

جُرحتُ باكراً

وباكراً عرفت:

الجراح هي التي خلقتني.

قرية صغيرة هي طفولتك

مع ذلك،

لن تقطع نخومها

مهما أوغلتَ في السفر

❖ ❖ ❖

مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف

وجه يافا طفلٌ هل الشجَرُ الذابل يزهو؟ هل تَدخل
الأرض في صورة عذراء؟من هناك يرجّ الشرق؟
جاء العصف الجميلُ ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتٌ
شريدٌ. . .
(كان رأسٌ يهذي يهرّجُ محمولاً ينادي أنا الخليفةُ).
هاموا حفروا حفرةً لوجهِ عليٍّ كان طفلاً وكان أبيض
أو أسودَ، يافا أشجارُه وأغانيه ويافا.
تكدّسوا، مزّقوا وجهَ عليٍّ
دمٌ الذبيحة في الأقداحِ، قولوا: جبّانةٌ،
لا تقولوا: كان شعري ورداً وصار دماءً،
ليس بين الدماء
والورد إلا خيط شمسٍ، قولوا: رماديَ بيتٌ
وابنٌ عبّادَ يشحذ السّيفَ بين الرأس والرأس

وابن جَهْورَ ميْتٌ.

لم يكن في البدايهْ

غير جذْرٍ من الدمع أعني بلادي

والمدى خيطيَ ــ انقطعتْ وفي الخُضْرَةِ العربيّهْ

غرِقت شمسيَ الحَضارة نقّالةٌ، والمدينهْ

وردةٌ وثنيّهْ- خيمة:

هكذا تبدأ الحكايةُ أو تنتهي الحكايَهْ.

والمدى خيطيَ- انَّصلْتُ أنا الفوهة الكوكبيهْ

وكتبتُ المدينة

(حينما كانت المدينة مقطورةً والنواحْ

سورها البابليُّ)، كتبتُ المدينهْ

مثلما تتضحُ الأبجديّهْ

لا لِكَيْ ألأم الجراحْ

لا لِكَيْ أبعث المومياءْ

بل لكي أبعْثَ الفروقَ. . . . . الدِّماءْ

تجمعُ الوَرْدَ والغراب لكي أقطعَ الجسورْ

ولكي أغسل الوجوه الحزينه.

بنزيف العصورْ.

وكتبتُ المدينه

مثلما يذهب النبيُّ إلى الموت أعْني بلادي

وبلادي الصّدى

والصّدى والصّدى. . .

كشفَت رأسها البَاءُ، والجيمُ خصلةُ شَعْرٍ، إنْقرضْ إنْقرضْ

ألِفٌ أولُ الحروف انقرضْ إنْقرضْ

أسمعُ الهاءَ تنشجُ، والراء مثلُ الهلالْ

غارقاً ذائباً في الرمالْ

إنقرضْ إنقرضْ

يا دماً يجري صحارَى كلامْ

يا دماً ينسج الفجيعة أو ينسج الظلامْ

إنْقرض إنْقرض

سحرُ تاريخكَ انتهى،

واعْذري واغْفري

يا قرونَ الغزالاتِ، يا أعينَ المها. . .

أحارُ، كلَّ لحظةٍ أراكِ يا بلادي

في صورةٍ،

أحملكِ الآن على جبيني، بين دمي وموتي: أأنتِ مقبرهْ

أم وردةٌ؟

أراكِ أطفالاً يُجرْجِرونْ

أحشاءهم، يُصفونَ يسجدونْ

للقيد، يلبسونْ

لكلِّ سَوْطٍ جلدهُ. . . أمقبرهْ

أم وردةٌ؟

قتلتِني قتلتِ أغنياتي

أأنت مجزرَهْ

أم ثورةٌ؟

أحارُ، كلّ لحظةٍ أراكِ يا بلادي في صورةٍ. . .

وعليَّ يسأل الضوءَ، ويمضي

حاملاً تاريخَهُ المقتولَ من كوخٍ لكوخٍ:

(علَّموني أنّ لي بيتاً كَبَيْتي في أريحا

أنّ لي في القاهره

إخوةٌ، أنّ حدودَ الناصره

مكة.

كيف استْتَحَالَ العلمُ قيداً

والمدى نارَ حصار، أو ضَحيّهْ؟

ألهذا يَرْفضُ التاريخ وجهيَ؟

ألهذا لا أرى في الأفْقِ شمساً عربيّه؟)

آهِ لو تعرف المهزلَهْ

(سمِّها خطبةَ الخليفةِ أو سمِّها المهرجانْ)

ولها قائدانْ

واحدٌ يَشْحَذُ المقصلَهْ

واحدٌ يتمرّغُ. . . لو تعرف المهزلَهْ

كيف، أينَ انْسللْتْ

بين عُنْقِ الذّبيح ومِقْصلة الذّابحينْ؟

كيف ماذا، قُتِلتْ؟

كُنتَ كالآخرينَ، انتهيتَ

ولم تَنْتَهِ المَهزلَهْ

كنتَ كالآخرينَ ـ ارْفضِ الآخرينْ

بدأوا من هناكَ ابتدئْ من هُنا

حول طفلٍ يموتْ

حولَ بيتٍ تهدَّم فاستعْمرَتْه البيوتْ

وابتدئْ من هنا

من أنين الشوارع من ريحها الخانقهْ

من بلادٍ يصير اسمها مقبره

وابتدئْ من هنا

مثلما تبدأ الفجيعةُ أو تُولَد الصّاعقه

مت؟ هنا صرت كالرعد في رحم الصاعقة

بارئاً مثلما تَبْرأُ الصاعقه

أُنظر الآن كيف انْصهرتَ وكيف انبعثتَ، انتهيتَ ولم تَنْتَهِ

الصّاعِقَهْ.

أعرفُ، كان ملكَكَ الوحيدَ ظِلٌّ خيمةً، وكان فيها خِرقٌ،

ومرّةً يكونُ ماءٌ، مرَّةً رغيفٌ، وكان أطفالك يكبرونْ

في برْكةٍ،

لم تَيْأسِ انْتفضْتَ صرتَ الحلمَ والعيونْ

تظهرُ في كوخٍ على الأرْدنِّ أو في غزَّةٍ والقدْسْ

تقتحمُ الشارعَ وهو مأتَمٌ تتركه كالعرْسْ

وصوتُك الغامرُ مثلُ بحرٍ

ودمُكَ النافرُ مثلُ جبلٍ

وحينما تحملك الأرضُ إلى سريرها

تترك للعاشقِ للأحقِ جدولينْ

من دمكَ المسْفوح مرَّتين.

وجه يافا طفلٌ هل الشجرُ الذابلُ يزهو؟ هل تدخل

الأرضُ في صورةِ عذراءَ مَنْ هناكَ يرجُّ الشرق

جاء العَصْفُ الجميلُ ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتٌ

شريدٌ. . .

سقطَ الماضي ولم يسقطْ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقطُ؟)

دالٌ فامةٌ يكسرها الحزنُ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقطُ؟)

قافٌ قابٌ قوسين وأدْنى

أطلبُ الماءَ ويعطينيَ رملاً

أطلب الشمسَ ويعطينيَ كهفاً

سيّدٌ أنتَ؟ ستبقى

سيّداً. عبدٌ؟ ستبقى

هكذا يؤثَرُ، يعطينيَ كهفاً وأنا أطلبُ شمساً، فلماذا سقط

الماضي ولم يسقط؟ لماذا هذه الأرضُ التي تَتَسلسلُ أياماً كئيبَهْ

هذه الأرضُ الرّتيبهْ.

سيّدٌ أنتَ؟ ستبقى

سيّداً. عبدٌ؟ ستبقى

غيّر الصورةَ لكن سوف تبقى غيّر الرايةَ سوف تبقى

. . . في خريطةٍ تمتدّ. . . إلخ، حيثُ يدخلُ السيّد المقيمُ

في الصفحة ١ راكباً حيواناً بحجم المشنقة، يتحوّلُ إلى تمثالٍ

ملء الساحات العامة. و(كانت) الحاكمة تغسل عجيزتها

وحولها نساءٌ يدخلن في الرّمح ويمضغن بخورَ القصر والرجال

يسجّلون دقات قلوبهنّ على زمنٍ يتكوّم كالخرقة

بين الأصابع حيث

ك ترتجف تحت نواةٍ رفضيّةٍ بعمق الضوء

ت تاريخٌ مسقوف بالجثث وبخار الصلاة

أ عمود مشنقة مبلّلٌ بضوءٍ موحل

ب سكين تكشط الجلد الآدميّ، وتصنعه نعلاً لقدمين

سماويتين في خريطةٍ تمتدّ. . . إلخ.

شجرٌ يثمرُ التحوّلَ والهجرةَ في الضوءِ جالسٌ في فلسطين

وأغصانُهُ نوافذٌ أصغينا لأبعادِه قرأنا معه نجمةَ الأساطيرِ

جندٌ وقضاةٌ يدحرجون عظاماً ورؤوساً، وآمِنونَ كما يرقد حلمٌ

يُهَجّرون، يُجَرّونَ إلى التِّيه. . .

كيف نبدأ؟

(ـ يكفيني رغيفٌ، كوخٌ وفي الشمّس ما يمنح فَيْئاً، لا

لستُ خوذةَ سيّافٍ ولا ترسَ سيّدٍ، أنا نهرُ الأردنّ أسْتَفْرِدُ

الزهورَ وأغويها دمٌ نازفٌ تبطّنتُ أرضي ودمي

ماؤها دمي وسيبقى ذلك السّاهِرُ النحيلُ: غبارٌ يمزجُ العاشقَ

المشرَّدَ بالريح، ويبقى نسغٌ).

يتمتم طفلٌ، وجهٌ يافا

طفلٌ هنا سقط الثائرُ حيفا تئنُّ في حجَرٍ أسوَدَ

والنّخْلةُ التي قيّأت مريمَ تبكي همستْ في قدمي جوعٌ

وفي راحتيَّ تضطرب الأرضُ كشفنا أسرارَنا (بُقع الدمع
طريقٌ) أجسٌّ خاصرة الضوء يجثّث الصحراءَ والكونَ مربوطاً
بحبلٍ من الملائكِ هل تشهدُ آثار كوكبٍ، يسمع
الكوكبُ صوتي رويتُ عنه سأروي. . .
في زَمن الرّماد، شَخْصٌ رَمَى تاريخه لجمْر أيّامنا، وماتَ
(لن تعرفَ حرّيةً ما دامت الدولةُ موجودةً).
تذكرُ؟ (والقاعدهْ
وسلطةُ العمال. . .) ما الفائده
تتحدرُ الثورة بعد اسْمهِ
في لفظةٍ، تمتدّ في مائدهْ
هل تقرأ المائده؟
كان فدائيٌ اسمه ناراً وفي الحناجر البارده
يموتُ
والقدسُ تخطّ اسمها:
لم تزل الدولةُ موجودةً
لم تزل الدولةُ موجودةً.

غير أنّ النّهرَ المذبوحَ يجري:

كلّ ماءٍ وجه يافا

كل جرحٍ وجه يافا

والملايين التي تصرخُ: كلاّ، وجه يافا

والأحبّاء على الشرُّفة، أو في القيد، أو في القَبْر يافا

والدَّمُ النّازِفُ من خاصرةِ العالم يافا

سمِّني قيساً وسَمِّ الأرض ليلى

باسْم يافا

باسْم شعبٍ يرفع الشمس تحيّة

سمِّني قنبلةً أو بندقيّهْ. . .

هذا أنا: لا، لستُ من عصر الأفولْ

أنا ساعةُ الهتْك العظيم أتت وخلخلةُ العقولْ

هذا أنا ــ عبرَت سحابه

حبلى بزوبعة الجنونْ

والتّيه يمرق تحت نافذتي، يقول الآخرونْ:

ماذا يقول الآخرون؟

(ـ يرعى قطيعَ جفونهِ

يصل الغرابةَ بالغرابهْ).

هذا أنا أصلٌ الغرابةَ بالغرابهْ

أرّخَت: فوق المئذنهْ

قمرٌ يسوس الأحصنهْ

وينام بين يدَيْ نميمه

وذكرتُ: بقّعت الهزيمه

جسد العصفورْ

وَهْرانُ مثل الكاظميّهْ

ودمشق بيروت العجوز

صحراءٌ تزدردُ الفصولَ، دمٌ تعفّنَ – لم تعد نارُ الرموزْ

تلِد المدائن والفضاء، ذكرتُ لم تكن البقيّهْ

إلا دماً هرماً يموتُ يموتُ بقّعت الهزيمهْ

جسدَ العصفورْ.

. . . في خريطةٍ تمتدّ إلخ، حيث تتحول الكلمة إلى نسيجٍ تعبرُ في مسامّه رؤوسٌ كالقطن المنفوش، أيامٌ تحمل أفخاذاً مثقوبةً تدخل في تاريخٍ فارغ إلا من الأظافر، مثلّثاتٌ

بأشكال النساء تضطجع بين الورقة والورقة، كلّ شيء يدخل إلى الأرض من سُمّ الكلمة، الحشرةُ الله الشاعر.

بالوَخْز والأرق وحرارةِ الصّوت، بالرّصاص والضوء، بالقمر ونملة سليمان، بحقولٍ تثمر لافتاتٍ كتب عليها (البحث عن رغيف) أو (البحث عن عجيزة لكن استتروا) أو (هل الحركة في الخطوة أم في الطريق؟)،

والطريقُ رملٌ يتقوس فوقه الهواء والخطوة زمنٌ أملس كالحصاة. . .

وكان الوقت يشرف أن يصبح خارج الوقت وما يسمّونه الوطن يجلس على حافّة الزمن يكاد أن يسقط، (كيف يمكن إمساكه؟) سأل رجل مقيّد وشبه ملجوم.

لم يجئه الجواب لكن جاءه قيدٌ آخر وأخذ حشدٌ كمسحوق الرمل يفرز مسافةً بحجم لام ميم ألف أو بحجم ص ع ي هـ ك ويسير فيها ينسج راياتٍ وبُسُطاً وقِباباً ويبْني جسراً يعبر عليه من الآخرة إلى الأولى. . .

حيث عبرت ذبابةٌ وجلست على الكلمة، لم يتَحرك حرف، طارت وقد استطال جناحاها عبرَ طفلٌ وسأل عن

الكلمة خلع في حنجرته شوكٌ وأخذ الخرس يدب إلى لسانه. . .

في خريطةٍ تمتد. . . إلخ، حيث

(العدوُّ يطغى وهم يخسرون، ويمدّ وهم يَجْزُرون، ويطول وهم يَقْصرُون، إلى أن عادوا إلى علمٍ ناكسٍ وصوتٍ خافت، وانَشْغل كلّ ملكٍ بسدّ فتوقه، . . . وعندما يجدّ الجدُّ ويطلب الأندلس عَوْنَ الملك الصالح لاستخلاص إقليم الجزيرة، وقد سقط في أيدي الأسبان، يكتَفي بالأسَف والتّعزية ويقول بأنَّ الحرب سجالٌ وفي سلامتكم الكفاية، . . . ولم يزل العدوّ يواثبهم ويكافحهم ويُغَادِيهم القتالَ ويراوحهم حتَّى أجْهضَهم عن أماكنهم وجَفلّهم عن مساكنهم، وأركبهم طبقاً عن طبق واسْتأصلهم بالقتل والأسر كيفما اتفق. . .).

في خريطة تمتد. . . إلخ،

رفض التاريخُ المعروفُ الذي يُطبخ فوق نار السلطان أن يذكر شاعراً. . . والبقية آتيةٌ،

في خريطةٍ تمتَدّ. . . إلخ.

يأتي وقتٌ بين الرّماد والورود

ينطفئُ فيه كلّ شيء

يَبْدأ فيه كلّ شيء.

. . . وأغنّي فجيعتي، لم أعد ألمح نفسي إلاّ على طرَف التاريخ في شفْرةٍ سأبدأ، لكن أين؟ من أين؟ كيف أوضح نفسي وبأيِّ اللّغات؟ هذي التي أرضع منها تخونُني سأزكّيها وأحيا على شفير زمانٍ ماتَ، أمشي على شفير زمانٍ لم يجيءْ.

. . . ها غزالُ التاريخ يفتحُ أحشائيَ نهرُ العبيد

يهدّر، يجتاحُ اكتشفنا ضوءاً يقود إلى الأرض، اكتشفنا شمساً

تجيء من القبضةِ، هاتوا فؤوسكم نحملُ الماضي كشيخٍ

يموت، نَستشْرفُ الآتي، هُياماً ورغبةً.

لستُ وحدي

. . . وجه يافا ظفلٌ هل الشجر الذابل يزهو؟ هل

تدخل الأرض في صورة عذراء؟ من هناك يرجَ

الشرقَ؟ جاء العَصْفُ الجميل ولم يأتِ الخراب الجميل

صوتٌ شريدٌ. . .

خرجوا من الكتب العتيقةِ حيثُ تهترىءُ الأصولْ

وأتوا كما تأتي الفصولْ
حضَنَ الرَّماد نقيضَهُ
مَشَتِ الحقولُ إلى الحقولِ:
لا، ليس من عصر الأفولْ
هو ساعةُ الهتْكِ العظيمِ أتتْ، وخلخلةُ العقولْ.

(بيروت، خريف ١٩٧٠).

رماد عائشة

سمعتُ أنَّ عندنا

سمعتُ أنّ بيننا

ثلاثةً من الركام يعشقون موتهم

واحدهم مغارَةٌ

والآخران صَدَأٌ:

(رَبّاهُ، لو نموتُ، صار لحمُنا

شرائحاً من الحصى.

رباه، لو نموتُ. كان عمرُنا عبادةً

فجدْ لنا بدارك

بأبدٍ يدومُ في جوارك).

ثلاثةٌ من الفراغِ ـ

واحدٌ مغارةٌ

والآخران صَدَأٌ:

(ربّاه، كم تزلزل الجدارُ في عظامنا
وانطفأَ السراج والصبّاح في عيوننا
وجمدت صلاتنا على اسمكَ القديمِ
ونسيتْ قلوبنا اللذائذ الخطايا
آملةً بوعدكَ الكريمِ).
ثلاثةٌ من الركام، يكبرون كالحصى
وكالحصى يفكّرونَ، واحدٌ مغارةٌ
والآخرانِ صَدَأٌ، صدىً لها:
(يا ربّ صرتُ آخراً:
مفاصلي مسامرٌ
وركبتاي خشبٌ.
ربّيَ هيئْ موضعاً مباركاً لعبدكَ الذليلِ
هَبْني مقعداً منعّماً أكوابه من ذهبٍ
وفضةٍ، ولْدانُه مخلَّدون ـ
هبنيَ الخلود في جوارِكَ الحبيب، يا إلهي).
ثلاثةٌ من الفراغ يكرهون عمرهم

فللفراغ عندنا

مجامرٌ كبعلبكَّ؛ للفراغ نارُه وموته وبعثهُ:

ما أروعَ الحريقَ، ما أجلَّهُ

ما أعظم العراكَ، أيّ بطلٍ سينتهي

لمن يكون الزمن الذي يجيءُ،

والعراك هل يموت، هل يخفُّ، هل يظلّ قائماً؟

عائشة جارتنا العجوز مثل قفص مُعلَّقٍ

تؤمن بالركام والفراغ والطُّرَرْ

وبالقضاء والقدَرْ

أهدابها منازل النجوم، كلّ نجمةٍ خبرْ

عائشةٌ تقول إنّ عمرنا سحابةٌ بلا مطرْ

تقول إنّ الأرض أبْشَعُ الأكرْ

صوّرها الإله تحتَ عرشِهِ

ومن عَلٍ دحْرجَها

خطيئةً كأنّها البشرْ:

(يا ويلَ، ويلَ من كفرْ

يا سَعْدَهُ من اعتبر).

عائشةٌ جارتنا تقيّةٌ،

يحبّها القريبُ والبعيدُ

والمدُنُ الكثيرة الشوارع المزيّنات بالطُّرُرْ.

يحبّها الحاضرُ في بلادنا، الكامنُ فيها ورَماً

ولافتاتِ زيتةٍ

وقفصاً من الذباب أخضراً.

عائشةٌ جارتنا تقيّةٌ،

حياتها جلودُ صوفٍ وخرافٌ ورَعٍ

وحكمةٌ تعودُ بالأرض إلى سديمها

تحتجز الحياة في تكيَّةٍ

من ورَقِ الرمالِ

وطُحْلُبِ الليالي.

عائشةٌ جارتنا، فينيقنا الجديدُ في حياتنا

كبيرةٌ فارعة القوام تأخذ البصرْ

وتأخذ القلوب، يا فينيق، والفِكَرْ

كأنها القمرْ.

❖ ❖ ❖

طِلَّسْم

(طاء لام سين ميم/ مثلّث ـ

أكتب لكَ أكتب إليكِ

لكي تخرجَ من الكُتب التي تسكن في أعشاش طيورٍ

ماتت

لكي لا تنسى الأشجار التي كنتَ تتسلّقها في طفولتك

لكي تعطيَ ضوءَك لنجمةٍ تكاد أن تنطفئ.

أكتب لكَ أكتب إليكَ

بحبرٍ يتشبّه بدمع سكبَتْه عيناكَ في لقائنا الأوّل الذي كان

غامضاً على جسدينا،

وأكتب لكي أحيّيَ ذلك الغموض.

أكتب لكِ أكتب إليكِ،

لأقول رئتي تغيّر مكانَها حين يلتقي جسدانا، ولكي

أسأل: هل تعرفين الطّريقَ التي تسلكها؟

ولماذا يتحوّل جسدكِ آنذاك إلى بَحْرٍ يتموّج في
أعضائي، ولا شاطئَ له؟
ولماذا تصبح هذه الحروف الثلاثة جيم سين دال،
أكبرَ من الأبجديّةِ، وأكثر اتّساعاً؟
نكتبٌ لنا نكتب إلينا،
القدم وأصابعُها مِشْطٌ للأرق،
الكاحل عروةٌ في حافّة
درجةٌ سلمٍ نحو
عقدة نافرة في ما يشبه الفراغ
كلمةٌ تُلمَسُ لا تُلفَظ
أنا وهي قارئك أيّها الكاحل.
السّاق لذّةٌ انزلاقٍ
يظنّ إيكارٌ أنها هي كذلك معراجه.
تاريخ غرفٍ بلا نوافذ.
يجب أن نعرف كيف نُبقي الحلم يتأرجحُ بثقله
كلّه بين أهدابنا
نعم في نهاية السّاق من جهة الفَخِذ، يهبّ

نسيمٌ آخر،

والطّبيعة كحرف الألف.

الركبة خادمة أميرة

والجواب دائماً: لا أتعب.

الفَخِذ إلى المثّلث بعد ثوانٍ تصلين أيّتها

الأصابع ترَى الكيمياء تبني لكَ مَسْرَحَ

الظلّ أيها اللاّعب.

اذهب هانِئاً إلى موعدكَ ـ هنا من الشمس يخرج

الرّعد من النّراب يخرج قوس قزح

للزّغب كذلك جنونُه.

السُّرّة لا بُدّ من وسيلة لزرع الحياة كمثل وردةٍ في

حوضٍ كمثّل السرّة.

الثديان السُّقوط دائماً من الثديين إلى ما تحت السُّرّة:

هذا هو النصّ الذي أعطيناه عهدَنا لكي نتّخذَه

دليلاً، ولكي نغطّيَ به أماكنَ العبادة، ونصنعَ

منه، وفقاً لأحوالنا، شراباً أو خبزاً.

سقوطٌ نتنفّس فيه، أينما اتّجهنا، في دوائره

وأشكاله الهندسيّة الأخرى، هواءٌ يرتجل أزهار
الأنوثة والذكورة وفراشاتها. ونُصغي إلى الخلايا
تتهامَسُ، وإلى البشرة توسوس وتوشوش
أشياءَ لا نعرف عنها أكثَرَ من أنَّ الحلم يقْطرُها
في عربَاته.
ونُبارِكُ التّفاصيلَ التي تتفتّح كالنّوافذ
مأخوذيْنَ بهذا الكلّ الذي لا يُلْغي من حضوره
إلاَّ الملائكة وأوراقَ اعتمادهم.
سقوطٌ نتمسّك فيه بقلادةٍ أو أكثر يمدّها لنا عنقُ
الشّهوة فاتحاً لكل حركةٍ أفقاً وتكون
أخطاؤنا بين أجمل أعمالنا لأنّها تتيح لنا
تكراراً يتيح لنا أن نكرّر الذّوقَ الضدَّ
وذوق الغرابة.
سقوطٌ تضيق فيه على جسدينا الفراديس كلّها
حتّى تلك التي تتحدّث عنها كتبٌ يحفظها النّاس
عن ظهر قلب، وتبدو هذه الفراديس كأنَّها
ليست أكثر من حساءٍ دِهْنيّ

(يمكن أن تقرأ الدّالَ

ذالاً)

ثم نقول لطبعنا: انثر بذاركَ.

ونرى إلى البشرة التي يلتصق بها كيف تَنبهر

وتَزْدهر؛

ونصغي إليها تتوسَّل لكي يتحوَّل يقين القطافِ

إلى احتمالٍ، واحتمالُه إلى يقين –

طاء لام ميم سين

مُثلّث.

تنبأ أيها الأعمى

- تَنَبَّأْ، أيُّها الأعمى.

- زمَنٌ يتآكلُ ويَحْدودب. وما أشقى الإنسان الذي لا يرى أمامه، كلّما تقدّم، إلاَّ القديم.

أظنّ أنّ السّماءَ آخذةٌ في الخروج من هيكلها المغلق.

أظنُّ أنَّ القيدَ الصّغيرَ المسمّى عقلاً، يكاد أن ينكسر.

- تَنَبَّأْ، أيُّها الأعمى.

- عينٌ بلّوريّة تقرأ لمن يريد أن يُصغي. قدَمٌ معدنيّةٌ تمشي بكَ، تمشي عنكَ. تأمركَ الحاسبةُ الإلكترونيّة.

وكلّ رَقْمٍ حاسّة.

روبو روبوكا

يتزرَّر جسد العالم. وتحدس الأزْرارُ بما يأتي،

في أَرْضٍ تسيّرها نارُ الله.

تَنَبَّأْ، أيُّها الأعمى.

افركوا وجهَ اللَّيل بالورد. ادعكوا جسدَ النَّهار بالقرنفل. ماء المدينة يهربُ إلى الغيم، والجُرذان تبيعُ الهواء.

يتبعُ التَّابعُ ضفدعةٌ ويقول إنه يُطارد أميرةً. الأطفال يتوّكأونَ على أيّامٍ ترتسمُ عكاكيزَ من الرّماد. وكلّ طريقٍ تخطبُ عالياً:

تنوّروا بسراويلي،

لهَبي ساطعٌ،

وسوف أهجم على النُّجوم.

تَنَبَّأْ، أيُّها الأعمى.

- يجلس المتبوعُ فوق أريكةٍ من توابل العَصر، احتفاءً بدجَاجٍ يبيضُ العروش. الأرضُ حوله ضروعٌ هي نفسها تُحشى بالجثث في زَريبةٍ تفصّ بالماشية. لا شيء، لا شيء. يتهيأون ليسلخوا هذه الماشية.

دمامِلٌ ذَرَّةٍ. بثور كيمياء. نكّسْ رأسكَ أيُّها القطيع الواهن. المتبوع يعبرُ. يعبرُ سلُطانُهُ نَاقةً تُسرَجُ بكتفيْ نجمةٍ، حشوداً تُضَخُّ أمعاؤهم. آلهةٌ مُتراصَّةٌ حول أعناق الفانين. رؤوسٌ تئنّ تحت أثقال النّبوءات.

- تَنَبَّأْ، أيُّها الأعمى.

- المكانُ بخارُ نفاياتٍ. أشباحٌ تطلعُ من تجاعيد التّراب. صحراء غازٌ للغزو. تمتزجُ الأدمغة بِالنُّشَارة. تختلط الأجساد بالوَرَقِ المُقوَّى – في أوبئةٍ تَتفكَّكُ تتلاحم. وانظروا، وأَصغُوا. أفي وجوهكم تَسبح هذه السَّلاحف؟ أفي رؤوسكم تدوّم تلك السّراطين؟

يتنزه الوقتُ تحت مجرّات أسْلحةٍ تَفجُّ التكوين. والكونُ يترهّل.

- تَنَبَّأْ، أيُّها الأعمى.

- تَسَمَّرْ أيُّها الشّاعر الأخطبوط لِنعرفَ كيف تتحرّك. يلزمكَ مَسحوقُ المعنى، مصبوغاً بِنصاعة الفَجر. ينبغي أن يدَّهِنَ كلامُكَ، لا بالخيالِ بل بِقَشْدَةِ العَقْل. ولتكن مثلّجةً.

العَصْرُ قيظٌ، ولكَ أن تغطسَ في بحيرة الذّاكرة. وقل لعاطفتكَ أن تجثمَ فوق الأفكار كمثل يمامَةٍ تحضن بيضَها.

هَذَا وإلا

- كيف أمنحُ كلامي لمتبوعِ الزّمن وتابعيه؟ كيف أتقدّم حيث ترفض الطَّريق نفسُها أن تتقدّم؟

كيف أقول لريشتي أقْنِعي الهواءَ لكي

يَحتضن خطواتِ الحجر؟ أو كوني طَبْلاً

وارقصي أو كوني حارسةً للجراء؟

كلاّ، كلاّ، لا أريد شيئاً، ولستُ من

هذا العالم.

- تَنَبَّأْ، أيُّها الأعمى.

- أريد أن أظلَّ منفياً إلى الحريّة. نفسي مُصَرّفةٌ، لا تقنعُ إلاَّ بالتنقّل من حالٍ إلى حال. غداً تشتعل نارُ عصيانٍ، ولن احملَ الماء. أفتح أذنيَّ وعينيّ على جَمالٍ يميل نحو ضوءٍ يحارب ظلاماً ليس إلا امتداداً له ضوءٍ يستأصلُ نفسَه مما يقيّدها وأبحث عن نقيضٍ ليس إلاَّ قناعيَ الآخر في تاريخ

تطمسه كلماتٌ في مسافاتٍ أغطّيها برماد ما كتبته وأكتبه وأَسْتَنبِتُ الجمالَ الذي يَميل نحو ضوءٍ لا يستأصِلُ غيره بل نفسه في اتّجاه مجهولٍ يَستَوْعِبُ السُّؤالَ لا يُجيبُ إلاَّ لكي أطرحَ سؤالاً آخرَ يُتاخم الصّمت جناحاً في الحجر

يرفرف شيئاً يمتزج بغير عناصره في ذاكرةٍ ليست إلاَّ جرحاً.

يجمعني بما مضى هذه الفاصلة: المستقبل.

❖ ❖ ❖